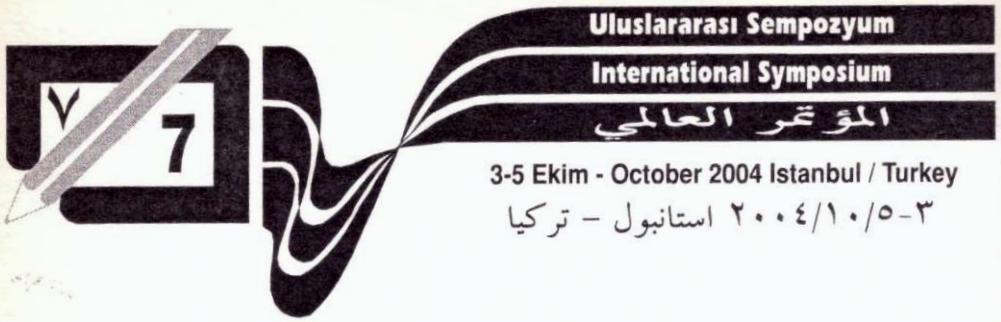

المؤتـــمر العالمي الســـابع
لبديع الزمان سعيد النورسي

ممارسة حياة ايمانية فاعلة

في سلام ووئام في عالم متعدد الثقافات
من خلال رسائل النور

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م
Ekim 2004
الترقيم الدولى
ISBN: 975-269-043-2
شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع

مساهمة القيم الدينية في التفاهم ودورها في إصلاح العالم الممزق

أ.د. عبد الحليم عويس
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
القـــــــاهرة

تمهيـــــــد

الحضارة المعاصرة بين القانون والأخلاق

من البديهي أنَّ كل الدول لها قـــوانين وتشـــريعات، وإلا لمـــا سميـــت دولاً، ولـــديها قضاء وشرطة وجيش وأجهزة أخرى مساعدة.

ومع ذلك تنشر الجرائم وترتفع نسب تعاطي المخدرات وينتشر الكذب وتنهار الحياة الاجتماعية.. وكل ذلك يقع مع وجود تطور في الأجهزة والمعدات وقوى الرصد والأموال التي تُغدق على هذه الأجهزة.

وهذا يدل على أنه ليس بالقانون وحده يستقيم أمـــر الإنســـانية، وأنـــه لابـــد مـــن الدين والأخلاق والضمير.

ومن الجدير بالذكر أن هناك جـــرائم كـــثيرة يرفضـــها الـــدين والأخـــلاق ويقرهـــا القانون، وذلك مثل جريمة الزنا عند التراضي، وجريمة شـــرب الخمـــر، وأخـــيراً ولـــيس آخراً جريمة تقنين الشذوذ الجنسي وإباحة زواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة.

مع أنها عوامل هدم للمجتمع الإنساني ،تمتد تحت رعاية القانون.

وقد أصبح العالم ينقسم قسمين؛ فهناك قسم أكثره من الجنوب يرفض هذه الجرائم؛ لأنه خاضع للدين والأخلاق بدرجات متفاوتة، وهناك القسم الشمالي من العالم؛ الذي يسمى بالعالم المتقدم ويقبل هذه الجرائم ويحميها، بل هناك ما هو أطرف من ذلك؛ حيث تسمح معظم الولايات في أمريكا بهذه الجرائم؛ بينما تتحفظ ولايات أخرى على بعضها؛ مما يجعل العالم ممزقاً بين من يميلون إلى الدين والأخلاق، وبين من تستعبدهم مفاهيم مثل حرية الإنسان؛ حرية منفلتة حيوانية، ومثل حق المرأة والرجل في التصرف في جسديهما !!

ومما يدل على أهمية قيادة الدين والأخلاق للحياة أن جميع الناس في الجنوب والشمال يؤمنون بخطر هذه الجرائم على الإنسانية، أفراداً، أو جماعات، أو حضارات، ومع ذلك ينبري كثير منهم للدفاع عنها وحمايتها باسم القانون، وكل هذا يثبت ضرورة الدين والأخلاق، حاكمين للحياة الإنسانية، وأن على القانون أن ينسجم معهما، كما أن على العقل النظيف أن يؤيد القانون في هذه الحالة، وأن يقف دائما مع الدين والأخلاق بالدرجة الأولى.

ويقول المفكر الهندي الكبير وحيد الدين خان : إن القانون لا يستطيع أن يستقل بذاته في أي وقت من الأوقات، بل لابد له أن يقترن بالأخلاق [1].

ويقول أيضاً هذا المفكر الهندي الكبير : إن الحل الوحيد للمشكلة الإنسانية هو تطبيق الشرع الإلهي الذي يمنحها جميع العناصر الأساسية الضرورية، فهذا الشرع يضع جوانب أساسية جذرية، ويترك الباب مفتوحاً للاجتهادات المختلفة حسب الزمان والمكان، ويحدد العناصر الأساسية، وغير الأساسية بالنسبة للدساتير، ثم هو إلى جانب ذلك، يتصف ويتمتع بدليل الترجيح والتفصيل لصالحه، حيث إنه من عند الله سبحان وتعالى، ومن ثم يجب أن نعده الكلام الأخير [2].

وهكذا.. لا يمكن أن تقوم الحياة الإنسانية الصحيحة إلا بالحقائق الأخلاقية التي تكون تعبيراً عن إيمان حي صحيح، وتسمو بصاحبها عن الأنانية، والذاتية المغرقة، وتفرض عليه تبعات وسلوكيات قد تتناقض مع مصالحه الشخصية ورغباته وأهوائه.. وتجعله يتحرك بضميره الذاتي أكثر مما يتحرك بالقانون !!

وإلى جانب هذا فإن الأخلاق المنبعثة عن عقيدة صحيحة تتجاوز الأفكار الجامدة، والمفاهيم المجردة التي لا حياة فيها، وتقود صاحبها إلى التعرف على الضمير الأخلاقي الذي يعيش فيه، وتدفعه إلى الترجمة العملية عن هذا الضمير، ولهذا فهو يتعرف ــ أيضاً ــ على صوت الحق المطلق.. ويترجم في قلبه الرسالة السماوية لخالقه، ولهذا نجده يلمح الفكرة الحقيقية الحية والمؤثرة، ويشعر أنه مرتبط بها ارتباطا عضويا، ويستمد منها على الدوام القوة والنور، ويشعر نحوها بأعمق مشاعر الاحترام؛ ممزوجة بأرق مشاعر الحب، هذه الشعلة العاطفية التي تحرك إيمانه العقلي، تغذي في الوقت نفسه " طاقاته الخلاَّقة "، وهو حين يتوقف أو يسقط لا ييأس.. إنه يعاود الوقوف على قدميه، ومتابعة المسيرة؛ معتمداً على تلك القوة الهائلة التي يستمد منها العون.. وبذلك يمكن القول إن الأخلاق لا تجد مكاناً أكثر خصوبة تزدهر فيه من ضمير المؤمن.

إن القيم الأخلاقية حين تمتزج امتزاجاً كاملاً مع الأوامر والنواهي الشرعية سيعملان معاً على الوصول بالإنسان إلى أعلى درجات الإنسانية، وذلك عن إيمان داخلي، لا عن إرغام (قانوني) خارجي؛ فالالتزام الخلقي المنبعث عن عقيدة يستبعد الخضوع المطلق مثلما يستبعد الحرية الفوضوية، ويضع الإنسان موضعه الحقيقي؛ بين المادة الصرف، والروح الصرف(3).

ومن منطلق تحديد المصطلحات والتصورات فقط؛ نذكر أنا نقصد بالأخلاق ذلك الالتزام الأخلاقي الذي ينبعث في أعماق الفرد نتيجة التربية الإسلامية التي تجعل الإنسان يلتزم بالشرعية وبالقيم الأخلاقية؛ ليس خضوعاً للعقبات والحدود الشرعية، ولكن مراقبة لله، وحباً له، وخوفاً من عقابه الأخروي، ورغبة في الثواب وفي الحياة الآخرة، وإذ كان علم الأخلاق يتعلق موضوعه بالسلوك البشري فإن الإسلام لا يرضى بالسلوك المجرد، بل يعطى أهمية خاصة للباعث (النية) و(الهدف) ،و لهذا فنحن نميل إلى ذلك التحْديد الذي يحاول تعريف علم الأخلاق ملتزما بالرؤية الإسلامية، فيرى أنه "علم يهتم بدراسة قواعد السلوك البشري وتطبيقاته في ظل أصول عقدية وغايات حددتها الشريعة، كما حددت ضوابط هذا السلوك، بما

يجعل هذه الضوابط معايير عامة لا تختلف في زمان أو مكان أو أشخاص " وهو بهذا علم معياري يجمع بين النظر والعمل وبين المثال والواقع [4].

والأخلاق ـــ بهذا المفهوم الإسلامي ـــ ذات صلة وثيقة بالتربية، بل إن التربية والتعليم هما أبرز وسيلتين لتحويل الأخلاق إلى سلوك تلقائي يصدر دون معاناة.. ويبرز عمق الصلة بين الأخلاق والتربية على أساس أن الوظيفة الأولى للمربي إنما هي العمل على ضرورة وعي الشخصية الإنسانية بالقيم الخلقية.

وكلما زاد التزام المربي نفسه بالقيم الخلقية كان تأثيره الخلقي على الناشئة أقوى وأفعل، ذلك لأنه لا انفصال بين الأخلاق في إطاريها النظري والعملي.. كما أن هذا الارتباط بين النظر والعمل في مجال الفعل الخلقي يجعل من القيمة الخلقية سلوكاً للحياة ومنهجاً للتعامل البشري [5].

ومن الجدير بالذكر أن العلاقة بين الإنسان والأخلاق لم تقم على الإلزام (الإجباري) أو (الاختيار) بل قامت على ما هو أهم من ذلك وهو "الحب" في الله، والرغبة في إرضاء الله، بأداء الأمر، وبالإحسان فيه، أي إتقانه ومراقبة الله فيه...

ومن المضطرد في القرآن أن تأتي الأوامر والنواهي في سياق الحب من الله وعدم الحب من الله ... ففي الأمر بالإحسان لا يأتي الأمر مجرداً وإنما يأتي :

ـــ "وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" [6].

ـــ "وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" [7].

ـــ "وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ" [8].

ـــ "فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ" [9].

ـــ وفي الحث على التقوى يرد التعبير القرآن في سياق الحب :

ـــ "بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ" [10].

ـــ "فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ" [11].

ـــ وفي الحث على التوكل يقول الله تعالى في القرآن : "فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" (12).

ـــ وفي الحث على الصبر : " وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ" (13).

ـــ وفي النهي عن الفخر والكبر : "إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً" (14).

ـــ وفي النهي عن الخيانة :" إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً" (15).

ـــ "إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ" (16).

ـــ وفي النهي عن الفساد يقول الله تعالى :" وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ" (17).

ـــ "وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ" (18).

ـــ وفي الأمر بالتوبة يأتي التعبير القرآني : "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" (19).

ـــ "فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ" (20).

ـــ وفي النهي عن الاعتداء :" وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" (21).

ـــ "ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" (22).

وهذا الأسلوب في الأوامر والنواهي الأخلاقية القائمة على الحبّ وعلى النية الحسنة والهدف النبيل خصيصة أخرى تسمو بالأخلاق إلى أرفع المراتب، وتجعلها فوق العلائق القانونية والمنفعية والشخصية ... إنها (علاقة حب) في الله ...

ومن هذه العلاقة السامية ترشح الأخلاق بأزكى آيات السمو، وتصل إلى أعلى مستوى أخلاقي يستطيع الإنسان أن يصل إليه.

لقد كان الشيخ سعيد النورسي مستوعباً لهذه الرؤية الإسلامية لمصطلح القيم الأخلاقية، كما كان مستوعباً للتأصيل القرآني لها، وهو التأصيل المستقى من الآيات القرآنية السابقة وغيرها، مما هو مبثوث في سور القرآن الكريم كلها، وفي الأحاديث النبوية أيضاً.

ونحن بدورنا نعالج – انطلاقاً من هذه الرؤية الإسلامية لمصطلح القيم الأخلاقية ـــ موقف بديع الزمان سعيد النورسي من (مساهمة القيم الدينية في التفاهم، ودروها في إصلاح عالمنا الممزق)!!.

الحلول العقلية اللاأخلاقية : مصابيح كاذبة مؤقتة :

منذ قرنين من الزمان، والحضارة الأوربية (وأمريكا جزء منها) تطرح نفسها حلاً قاهراً ضرورياً للإنسانية، على أساس أنها تملك (القوة) وتملك (العقل) وأنها التي سبقت في مضمار التقدم الحضاري بمعناه المادي والشيء !!

ولا أحد يجادل في أسبقية الحضارة الأوربية خلال القرنين الأخيرين في مجال القوة والعقل وما يتولد عنهما من سبق في الاختراع والتقنية والنظم !!

لكننا كنَا نأمل أن تملك أوربا قدرة نقدية تناقش من خلالها مسيرتها الحضارية، لتعرف – في المقابل – تلك السلبيات التي تراكمت علي الطريق، وكادت تقتل في الإنسان معانيه الإنسانية والأخلاقية .. لقد طار الإنسان في الأجواء لكن قلبه وضميره وروحه قد انغرست في الوحل .... وأصبحت ترابية أرضية لا تستطيع أن ترنو إلى ما فوق المادة والمصلحة الذاتية ، فضلاً عن أن تنظر إلى السماء، وتجمع بين البصر والبصيرة، والعقل والجسد والروح ...!!

وفي المقابل لم يرتفع المسلمون ـــ إلا في حالات خاصة ـــ إلى المستوى الذي يستطيعون منه أن يحاوروا أوربا محاورة ندّيّة ـــ على قدم المساواة ـــ ليبصّروها بعيوبها.. التي توشك أن تقضي بها على الإنسانية، ولاسيما وهي القائدة ـــ بل والمسيطرة ـــ على الإنسانية منذ قرنين، مع أن لدى المسلمين أدلة دامغة من داخل البناء الحضاري الأوربي نفسه، ذلك البناء الذي أفرز حربين عالميتين قضتا على عدد من البشر يفوق كل ضحايا الحروب السابقة في التاريخ الإنساني كله، وأما الأموال التي أنفقت فيهما ـــ ثم في الحرب الباردة خلال نصف القرن الأخير من القرن العشرين – فقد كانت كفيلة بإسعاد كل بيت في الأرض من الناحية المعاشية !!

يضاف إلى ذلك انتشار النظريات العنصرية، والصراعات القومية، والمذاهب الفوضوية والعدمية، والمخدرات والشذوذ الجنسي والزنا والاغتصاب بمعدلات نموّ ثابتة تهدد الحضارة الأوربية ـــ أولاً ـــ والإنسانية كلها ثانيا ....

لقد كان أكثر المسلمين يشعرون بدونية وانهزامية أمام التفوق الطاغي للحضارة الأوربية في عالم التسليح والتقنية والاختراعات.. ولا يستطيع بعضهم — (إلا على استحياء أو بنوع من الرفض الكامل أو الحماس الانفعالى غير المقبولين) — مناقشة الحضارة الأوربية في جوانبها السلبية بندّية وعلمية ورؤية إنسانية ثاقبة.

***

لكن بديع الزمان سعيد النورسي قد ارتفع إلى هذا المستوى النادر، وناقش الحضارة الأوربية مناقشة العالم والطبيب الصريح المحايد قائلاً :

يا أوربا التي نأت عن النصرانية وابتعدت عنها، وانغمست في السفاهة والضلالة!

لقد أهديت بدهائك الأعور كالدجّال لروح البشر حالة جهنمية ،ثم أدركت أن هذه الحالة داء عضال لا دواء له؛ إذ يهوي بالإنسان من ذروة أعلى عليين إلى درك أسفل سافلين، وإلى أدنى درجات الحيوان وحضيضها، ولا علاج عندك أمام هذا الداء الوبيل إلا ملاهيك الجذابة التي تدفع إلى إبطال الحسّ وتخدير الشعور مؤقتاً، وكمالياتك المزخرفة وأهواؤك المنومة.. فتعسا لك ولدوائك الذي يكون هو القاضي عليك.. نعم.. إن ما فتحته أمام البشرية من طريق، يشبه هذا المثال المذكور.

يا أوربا الثانية الفاسدة (أي أوربا التي تركت المسيحية والقيم) إنك تستندين إلى أسس واهية نخرة، فتزعمين أن كل كائن حي مالك لنفسه، ابتداءً من أعظم ملك وانتهاء إلى أصغر سمك.. كل يعمل لذاته فقط، ولأجل نفسه فحسب، ولا يسعى أحد إلا للذته الخاصة، ولأجل هذا له حق الحياة، فغاية همته وهدف قصده هو ضمان بقائه واستمرار حياته [23].

ثم أنك ترين (قانون التعاون) جاريا فيما بين المخلوقات امتثالاً لأمر الخالق الكريم الذي هو واضح جلي في أرجاء الكون كله كإمداد النباتات للحيوانات، والحيوانات للإنسان، ثم تحسبين هذا القانون والسنة الإلهية وتلك التجليات الكريمة

الرحيمة المنبعثة من ذلك التعاون العام جدالاً وخصاماً وصراعا، حتى حكمت ببلاهة أن الحياة جدال وصراع !

فيا سبحان الله !! كيف يكون إمداد ذرات الطعام إمداداً بكمال الشوق لتغذية خلايا الجسم جدالا وخصاماً ؟ بل ما هو إلا سنة التعاون، ولا يتم إلا بأمر رب حكيم كريم (24).

وإن ما تستندين إليه من "أن كل شيء مالك لنفسه" واضح البطلان، وأوضح دليل عليه هو أن أشرف الأسباب وأوسعها إرادة واختياراً هو الإنسان، والحال أنه ليس في يد اختياره ولا في دائرة اقتداره من أظهر أفعاله الاختيارية كالأكل والكلام والتفكر، إلا جزء واحد مبهم من بين المائة، فالذي لا يملك واحداً من المائة من مثل هذا الفعل الظاهر كيف يكون مالكاً لنفسه.

فيا أوربا؛ ما ورطك في هذا الخطأ المشين إلا دهاؤك الأعور؛ أي ذكاؤك المنحوس الخارق؛ فلقد نسيت بذكائك هذا رب كل شيء وخالقه، إذ أسندت آثاره البديعة إلى الأسباب والطبيعة الموهومة !!. وقسمت ملك ذلك الخالق الكريم على الطواغيت التي تعبد من دون الله، فانطلاقاً من هذه الزاوية التي ينظر منها دهاؤك الأعور؛ يضطر كل ذي حياة، وكل إنسان أن يصارع وحده مالا يعد من الأعداء، ويحصل بنفسه على مالا يحد من الحاجات، بما يملك من اقتدار كذرَّة، واختيار كشعرة، وشعور كلمعة تنطفئ، وعمر كدقيقة تنقضي م مع أنه لا يكفي كل ما في يده لواحد من مطالبه (25).

إن دهاءك المظلم قد قلب نهار البشرية ليلاً؛ ذلك الليل البهيم؛ بالجور والمظالم؛ ثم تريدين أن تنوري ذلك الظلام المخيف بمصابيح كاذبة مؤقتة !.. هذه المصابيح لا تبتسم لوجه الإنسان، بل تستهزئ به، وتستخف بضحكاته التي يطلقها ببلاهة؛ وهو متمرغ في أوحال أوضاع مؤلمة مبكية !.. فكل ذي حياة في نظر تلاميذك مسكين، مبتلى بمصائب ناجمة من هجوم الظلمة، والدنيا مأتم عمومي، والأصوات التي تنطلق منها نعيات الموت، وأنات الآلام، ونياحات اليتامى.

إن الذي يتلقى الدرس منك، ويسترشد بهديك يصبح "فرعونا" طاغية.. ولكنه فرعون ذليل، إذ يعبد أخس الأشياء، ويتخذ كل شيء ينتفع منه رباً له.

وتلميذك هذا " متمرد" أيضا.. ولكنه متمرد مسكين، إذ لأجل لذة تافهة يقبل قدم الشيطان، ولأجل منفعة خسيسة يرضى بمنتهى الذل والهوان.

وهو " جبار" وكلنه جبار عاجز في ذاته لأنه لا يجد مرتكزاً في قلبه يأوى إليه[26].

إننا لا نجد في الحقيقة وصفاً دقيقاً للحالة الحضارية الأوربية يرقى إلى هذا المستوى العميق الذي وصل إليه الأستاذ النورسي!!.

الحل الإسلامي الأخلاقي مصباح حقيقي دائم للإنسانية :

وفي مقابل تلميذ أوربا المقهور داخلياً على هذا النحو؛ وإن بدا ظاهره غير ذلك؛ يبين النورسي خصائص تلميذ القرآن.. الإنسان المسلم الذي من المفروض فيه أن يجمع بين العقل والقلب، والمادة والروح، والضمير والأخلاق .

إن النورسي يصف هذا الإنسان (تلميذ القرآن) قائلاً : أنا التلميذ المخلص الخالص للقرآن الكريم فهو "عبد" ولكنه لا يتنزل لعبادة أعظم مخلوق؛ فهو " عبد عزيز" لا يرضى حتى بالجنة؛ تلك النعمة العظمى غاية لعبوديته لله [27]، (والمقصود أنه يسعى إلى رؤية الله بعد دخوله الجنة، وأنه لا يؤثر مصالحه على الآخرين).

وهو " لين هين"، ولكنه لا يتذلل لغير فاطره الجليل، ولغير أمره وإذنه؛ فهو صاحب همة عليا، وعزيمة صادقة.

وهو " فقير "، ولكنه مستغن عن كل شيء بما ادخر له مالكه الكريم من الثواب الجزيل.

هو " ضعيف " ولكنه يستند إلى قوة سيده المطلقة [28].

ويقدم النورسي توضيحاً أكثر لهذه المقارنة بين تلميذ الفلسفة والحضارة الأوربية، وبين إنسان وعبد (الفلسفة القرآنية) فيقول:

إن تلميذ الفلسفة يفر من أخيه أثرة لنفسه، ويقيم عليه الدعوى، أما تلميذ القرآن فإنه يرى جميع عباد الله الصالحين في الأرض والسموات إخوانا له، ويشعر من أعماق روحه بأواصر شوق تشده نحوهم؛ فيدعو لهم دعاء خالصاً نابعاً من صميم قلبه : (اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات)؛ فهو يسعد بسعادتهم.

إن القرآن الكريم يمنح تلاميذه نماء سامياً للروح، وانبساطاً واسعاً لها.

وهكذا؛ فالحقائق التي تراها الفلسفة السقيمة الأوربية بدهائها الأعور مشوهة زائفة؛ يراها الهدى القرآني، واضحة جلية؛ ذلك النور الذي ينظر إلى كلام العالمين معاً بعينين براقتين نافذتين إلى الغيب، ويشير بكلتا يديه إلى السعادتين ...[29] سعادة الدنيا والآخرة معاً، وسعادة العقل والروح معاً، وسعادة الفرد والجماعة معاً.. بتكاملية لا صراعية، وبحب لا بمصلحة، وبإيمان قلبي؛ لا بمجرد سلوك ظاهري.

جوهر الأخلاق وأزمة الإنسانية المعاصرة

كانت لفتة رائعة من بديع الزمان سيعد النورسي إشارته إلى أنّ الصدق هو (أسّ الإسلام) فهذا يعني أن (الصدق) هو (جوهر الأخلاق)، شريطة أن يكون صدقاً مع الله، ومع النّفس، ومع الناس، أي صدقاً كاملا منسجماً مع الفطرة والعقل الصحيح والدّين الحق.

ولعله لهذه المكانة (للصدق) كان الشرط الأول من الشروط التي يجب أن تتحقق في كل الأنبياء والمرسلين ــ عليهم السلام ــ ولهذا ــ أيضاً كان الرسول محمد ــ عليه السلام ــ يعرف (بالصادق الأمين)، وكانت هذه الصفة الأخلاقية الرفيعة أول ركن اعتمد عليه وهو يخبر أهل مكة بأن الله أرسله إليهم.. وقد شهدوا له قائلين : "ما جربنا عليك كذباً قط " !!

ومن خلال هذا الرصد الديني والتاريخي، ومن خلال الرصد المضادّ له، والذي تمثله حضارة العصر القائمة على (فن الكذب) سياسياً وإعلامياً واجتماعياً ــ ذهب النورسي يحدد مكانة الصدق قائلا :

لقد علمتني زبدة تتبعاتي وتحقيقاتني في الحياة الاجتماعية أنّ :

" الصدق" هو أسّ أساس الإسلام، وواسطة العقد في سجاياه الرفيعة ومزاج مشاعره العلوية، فعلينا إذاً أن نحيي الصدق ــ الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية ــ في نفوسنا، ونداوي به أمراضنا المعنوية.

أجل ! إن الصدق هو عقدة الحياة في حياة الإسلام الاجتماعية، أما الرياء؛ فهو نوع من الكذب الفعْلي، وأما المداهنة والتصنّع؛ فهو كذب دنيء مرذول، وأما النفاق؛ فهو كذب ضار جداً، والكذب نفسه؛ هو افتراء على قدرة الصانع الجليل.

إن الكفر بجميع أنواعه كذب، والإيمان إنما هو صدق وحقيقة.

وعلى هذا؛ فالبون شاسع بين الصدق والكذب بُعد ما بين المشرق والمغرب، وينبغي ألا يختلط الصدق والكذب اختلاط النور والنار، ولكن السياسة الغادرة والدعاية الظالمة قد خلطتا أحدهما بالآخر، فاختلطت كمالات البشرية ومثلها بسفسافها ونقائصها [30]!!

وهذا الدرس الذي يمليه علينا النورسي مستخلصاً إياه من زُبدة تتبعاته في الحياة ليؤكد به أهمية الصدق، وكيف أنه يمثل مفتاح الفضائل، بينما يمثل الكذب – أيضاً – مفتاح الرذائل، يتفق تماماً، بل لعلّه ينطلق من فقه النورسي العميق لحديث الرسول ρ الذي يقول فيه : " عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا"[31].

ولعل هذا الحديث الشريف كان مصباحاً من مصابيح حياة النورسي يقيس به– وعلى ضوئه – المواقف والرجال .. ولعله من خلاله، ومن خلال تجاربه التي سماها (تتبعات وتحقيقات) لفظ السياسة وكرهها، وابتعد عن السياسين، لأنه رأى بعينه كيف أن السياسة لا تنفصل عن الكذب والنفاق والتصنَع والمداراة، وأن الصدق في مجالها عسير ولا سيما بعد أن سيطرت عليها نظريات المصلحية (البرجماتية) و (المكيافللية) التي ترى أن الغاية تبرر الوسيلة، حتى لو كانت هذه الوسيلة قائمة على تلال من الكذب والخداع والتضليل.

وبعد أن أصبح الكذب والخداع خصيصتين مبثـوثتين في كـل جوانـب السياسـة، يجريان فيها كما يجري الدم في الجسم !!!

وقد أصبح العالم المعاصر منسوجاً من الأكاذيـب في علاقـة الحكـام وأولي الأمـر بمحكوميهم، وفي علاقة المعلمين والمربين بتلامـذتهم، وبعلاقـة بعـض علمـاء الـدين المنافقين بالأمة الإسلامية.

وفي مواجهة هذا الوضع الرهيب في كذبه وريائه ونفاقـه يصـرخ (بـديع الزمـان النورسي) قائلاً :

- حبة واحدة من صدق تبيد بيدراً من الأكاذيب !!
- إن حقيقة واحدة تهدم صرحاً من خيال .
- فالصدق أساس عظيم وجوهر ساطع .
- وربما يتخلّى عن مكانه للسكوت، وإن كان فيـه ضـرر، ولكـن لا موضـع للكذب قطعاً، مهما يكن فيه من فائدة ونفع !!
- ليكن كلامك كله صدقاً، ولتكن أحكامك كلها حقـاً .. ولكـن عليـك أن تدرك هذا : إنه لاحق لك أن تبوح بالصدق كله [32]. !!

إنني أتخيل النورسي، وهو يدبّج هذه الكلمات، وكأنـه يضـع دسـتوراً للساسـة، والاقتصاديين، وعلماء التربية والاجتمـاع، والـدعاة إلي الـدين والأخـلاق (وبخاصـة الذين لا يمثلون قدوة ولا يعملون بما يقولون)... إنه يتجـه إلـيهم - بهـذا الدسـتور المجلّي لقيمة الصدق ... كي يقفوا ضدّ هذه الحضارة الـتي أصـبح الكـذب والنفـاق والتصنّع جزءاً من كيانها الداخلي ... بحيث أصبح من الصـعب علاجهـا، ولا طريـق إلا بإقامة كيان إسلامي حضاري يقـود الحضـارة المعاصـرة ... بعيـداً عـن الريـاء والكذب والتصنّع !!.

***

ولكي يعمق النورسي في وعي المسلمين؛ الذين تقوم حضارتهم على (الصدق) ضرورة الالتزام بالصدق، وعدم اتباع (الكفار) في اصطناع (الكذب) السياسي أو الاقتصادي أو التربوي..مهما كانت تسميته الخادعة (دهاء) أو (سياسة)، أو (دبلوماسية)، فإنه يقدم لهم (النموذج الأعلى) الذي يجب ألا يبتعدوا عن الالتزام به.. لأنه رسول الله محمدρ (المثل الأعلى الكامل للبشرية في صدقه)..

لقد وقف النورسي وقفة تحليلية متأنية من (صدق الرسول)، ليس لأنه (الأسوة الحسنة) للمسلمين فسحب؛ بل لأنه (المثل الأعلى للإنسانية كلها ... فهو أول العظماء في التاريخ كما ذكر الأمريكي (مايكل هارت) [33]...

لقد كان (صدق) الرسول محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ، أزكى (صدق) عرفته البشرية ... ولئن صح ــ في الإنسانية كلها ــ أن ينعت إنسان (بالصادق)، ويعرف به على أنه لا يقل لصوقاً به عن اسمه؛ فإن هذا الإنسان لن يكون غير النبي محمد؛ قبل بعثته وبعدها، وفي كل ما أخبر به عن الناس.. فكيف بما أخبر به عن ربّ الناس، وخالق الناس !!.

ومن هنا كان تركيز النورسي على الصدق استلهاماً رائعاً من تاريخ النبوة ومن سيرة خاتم المرسلين.

ونحن نرى (النورسي) يُجلى أهمية (الصدق) كأساس وجوهر للأخلاق؛ حين يستعرض (الصدق) الزكي العجيب الذي تفرد به محمد ــ عليه السلام ــ.. فصدق الرسول ــ كما يوضع النورسي ــ صدق في كل ما بلغ به عن الله.. ماضياً كان هذا البلاغ أو حاضراً أو مستقبلاً.. فحديثه عن الأنبياء، وعن الأمم السابقة، لم يثبت قط ــ على كثرة بحث الأعداد والأصدقاء، من الباحثين الأكاديميين المتخصصين، الموضوعيين ــ أنه معرض للتخطئة أو التجريح، ولعل ما كتبه الجراح العالمي الفرنسي؛ موريس بوكاى، عن هذا الموضوع من الأدلة على ذلك [34].

وتشير هنا إلى حاثة واحدة فقط للدلالة على عظمة صدقه في الحاضر ــ إلى جانب صدقه في الماضي ــ وهي موقفه يوم أن مات ابنه إبراهيم، وخسفت الشمس فقال المسلمون

: إن الشمس قد خسفت لموت إبراهيم؛ فأخبرهم الصادق الأمين بحقيقة الأمر، وهو أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله؛ لا يخسفان لموت أحد.. ولو كان يسمح بأي كذب لا ستغل هذا التوافق العجيب، أو لسكت !!

وأما حديثه عن الحاضر فصحابته رضوان الله عليهم شهود على صدقه العجيب؛ فقد قال لهم، وهو في مكة معهم؛ وليس لديه أية وسائل مواصلات، أو أجهزة إعلامية:

"إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده "؛ فكان الأمر كما أخبر.

وأخبر ρ رسول كسرى :"إن الله سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في وقت كذا.." فلما حقق ذلك الرسول (فيروز) وقت مقتل كسرى؛ أيقن أن قتله كان في نفس الوقت الذي أخبر عنه ρ؛ فأسلم بسبب ذلك.

وأخبر عن كتاب حاطب بن أبي بلتعة الذي أرسله سراً إلى كفار قريش، فأرسل ρ علياً والمقداد ــ رضي الله عنهما ــ بأن في الموضع الفلاني جارية معها رسالة، فأتوني بها؛ فذهبا وأتيا بالرسالة في المكان الذي وصفه الرسول ρ.

وثبت أيضاً أنه ρ قال في عتبة بن أبي لهب : " يأكله كلب الله "؛ فأخبر عن عاقبته المفجعة، وبعد مدة من الزمن ذهب عتبة متوجهاً نحو اليمن؛ فجاءه سبع وأكله؛ فصدق دعاءه عليه.

وبعد أن يورد (النورسي) عدداً من الأمثلة الأخرى؛ يعلق قائلاً : "وقد وقع كثير من أمثال هذه الأنباء الغيبية الصادقة، وذكرها كتب السنة المعتمدة مع أسانيدها، وهي قطعية الثبوت ويقينية، وقد نقلها البخاري ومسلم في صحيحيهما، اللذين هما أصح الكتب بعد القرآن الكريم [35].

وهكذا – كما ذكر سعيد النورسي – كان صدق الرسول ρ صدقا كاملاً فى الجاهلية والإسلام...فى إطاره البشرى–كإنسان–وفى إطاره النبوى–كرسول معصوم–وفى حديثه عن الماضى والحاضر والمستقبل؛ جملة وتفصيلاً..

***

وليس غريباً في ظل هذا الاهتمام من جانب النورسى بقيمة الصدق بخاصة، والأخـــلاق بعامة؛ أن نكتشف أن النورسى إنما اعتزل الناس؛ وترك الشئون الدنيوية، وتفرغ لفقه القرآن؛ بعد أن رأى مدى توغل الفساد والكذب فى الحياة الدنيا كلها، وذلك فى ظل حضارة مادية قائدة؛ جعلت الكذب فناً، وعلماً، وممارسة مقننة على كل المستويات...

لقد وجه النورسى رسالته بأسلوب نثرى بديع إلى من طالبه بالبقاء فى معترك السياســة والحياة العامة.. قائلا لهم؛ بعد أن استخار الله، واتخذ قراره بالتفرغ لغــرس بــذور الإيمــان بالقرآن:

لا تدعُنى إلى الدنيا؛ فقد جئتها ورأيت الفساد.
إذ لما صارت الغفلة حجاباً، وسترت نور الحق..
رأيت الموجودات كلها فانية مضرة.
إن قلت: الوجود! فقد لبسته،ولكن كم عاينت من البلاء فى العدم.
وإن قلت: الحياة ! فقد ذقتها، ولكن كم قاسيت العذاب .
إذ صار العقل عقاباً، والبقاء بلاء
والعمر عين الهواء، والكمال عين البهاء.
والعمل عين الرياء، والأمل عين الألم.
والوصال عين الزوال، والدواء عين الداء.
والأنوار ظلمات، والأحباب أيتاما.
والأصوات نعيات، والأحياء أمواتاً.
وانقلبت العلوم أوهاماً، وفى الحكم ألف سقم.
وتحولت اللذائذ آلاماً، وفى الوجود ألف عدم [36] ..

مستقبلنا المشترك : دين وأخلاق وعقل ومادة

ـــ من الطريف أنه بينما يشعر العــالم كلــه في أيامنــا بأزمــة أخلاقيــة خانقــة.. يستوي في ذلك الغربيون والشرقيون على السواء، بعــد أن أفســدت القــوى العظمــى البيئة المادية والمعنوية والنفسية، ودمرت العلاقات الاقتصــادية والإنســانية العالميــة، بــل وشوَّهت الطعام والماء ونشرت المبيدات والجــراثيم الــتي أظهــرت عشــرات الأمــراض

التي لم يكن للبشرية عهدٌ بهـا، وقضـت علـى نسـبة كـبيرة مـن القـيم الدينيـة والأخلاقية!!

ـ من الطريف ـ مع كل ذلك ـ أن هناك لجنة علميـة عالميـة للبيئـة والتنميـة ـ على مستوى رفيع ـ تأسسـت مـن عـدد كـبير مـن أقطـاب السياسـة العالميـة والاقتصاد، على مستوى دولي، وقد وضعت هذه الجنة لنفسـها خطّـة حكيمـة جـداً (!!) لإصلاح العالم ـ تلقَّت بموجبها توجيهـات مـن أنـاس مـن مختلـف مسـالك الحياة.

وقد ذكرت اللجنة الدولية ـ أنها تتقدم بتقريرهـا لجميـع النـاس في العـالم، كمـا ذكرت أنها عندما كانت تعْمل لم تكن تحكمهـا القوميـات والتقسـيمات المصـطنعة، ما بين بلدان (متقدمة صناعياً) و (بلدان نامية)، وما بـين شـرقٍ وغـربٍ، بـل كـان همها الانشغال المشترك بكوكبنا، وبالمخاطر البيئية والاقتصـادية المتشـابكة الـتي يعانيهـا هذا العالم بكافة مؤسساته وحكوماته [37].

وقد اختارت اللجنة في اجتماعهـا الافتتـاحيّ ثمـاني قضـايا أساسـية للتحليـل في مجرى عملها وهي :

ـ آفاق الساكن والبيئة والتنمية المستديمة.
ـ الطاقة : البيئة والتنمية.
ـ الصناعة : البيئة والتنمية.
ـ الأمن الغذائي والزراعة والغابات والبيئة والتنمية.
ـ المستوطنات البشرية : البيئة والتنمية.
ـ العلاقات الاقتصادية الدولية والبيئة التنمية.
ـ أنظمة دعم القرارات لإدارة البيئة.
ـ التعاون الدولي [38].

ومن المؤسف أن هذا التقرير الكبير الذي بُذل فيه جهد ضـخم، وقـام علـى أمـره رجال تولوا مهاماً جسمية مثل رئيس- أسـبق ـ لـوزراء ألمانيـا، وصـدرت طبعـات منه بعدد كبير من اللغات، ومع ذلك لم يكن له تـأثير عملـي يـذكر، وظهـر كأنـه

جهد ثقافي فكري، وليس عملاً تطبيقياً يسعى أصحابه إلى تغيير العالم، وإنقاذه من التردي الخطير الذي ينحدر إليه !!

ـــ والسؤال الذي يجب أن يُطرح هنا :

ـــ لماذا أصبحت البشرية في كل مستوياتها عاجزةً عن عمل شيء إيجابي لإنقاذ كوكبها الأرضي الذي أصبح غير صالح للحياة مادياً ومعنوياً بتأثير حركات الهدم اللادينية واللاأخلاقية ؟

ـــ إن غياب المنظور الروحي والمعنوي والقيمي ـــ وحده ـــ والتركيز على المنظور المادي ـــ هو الذي يعطي آلة الهدم الجهنمية التي تركب القوى العظمى، وتبدو كأنها حكومة الشيطان الخفية ـــ تلك القوة التي تجعلها ـــ أكثر من غيرها ـــ ذات تأثير إيجابي فعال وبارز، وهو تأثير يسلب الحياة الإنسانية مقومات وجودها الإنساني الحقيقية في كل يوم !!

ـــ ومن خلال رؤية تحليلية يمكننا أن نقرر أن وراء هذه المحنة الإنسانية المعاصرة ظاهرتين أساسيتين سائدتين :

الظاهرة الأولى : هي شيوع المفهوم المادي والغرائزي والاستهلاكي والدنيوي اللاأخلاقي في الحياة، بحيث أصبحت الدنيا هي المحور الوحيد الذي يقوم عليه التخطيط للتنمية المحلية والعالمية، وغاب بالتالي المفهوم الأخروي والديني للحياة، وسيطرت أمام هذا الفهم فلسفات المنفعة واللذة وتحصيل السعادة الشخصية على حساب المجموع بكل الطرق، وكذلك الرقي الوطني والقومي على حساب الإنسانية، وتأجج الصراع بين سكان الأرض بعيداً عن تعاليم السماء وخوف الله والقيم الدينية التي تأمر بالرحمة والعدل والإحسان والصدق والإخلاص ...!!

وأما الظاهرة الثانية فتتمثل في غياب أصحاب الدين الصحيح والحضارة القيمة الأخلاقية المتوازنة التي لا ينسى أصحابها نصيبهم من الدنيا، لكنهم يبتغون الدار الآخرة ويراقبون الله.

وهاتان الظاهرتان قد غابتا عن وعي هؤلاء العلماء المخلصين الذي كتبوا الدراسة العلمية الرائعة عن (مستقبلنا المشترك) فقد فاتهم النظر إلى طبيعة الإنسان ومفهوم الحضارة الصحيحة اللائقة بالإنسان، ومن ثم قام تحليلهم على النتائج والثمرات، و لم يقم على البحث في الأسباب والجذور والأعماق (!!) ونظروا بعين واحدة فتضخمت المادة ومفرداتها، وانكمشت، بل ذبلت الروح والأخلاق والمعاني ومفرداتها !!.

ـــ ولو ملك هؤلاء الرؤية الموضوعية الشاملة الصحيحة لأدركوا أنه لا سبيل لمستقبل مشترك للإنسانية يجعلها تتجاوز مرحلة الغرق التي تعيشها إلاّ بقيم أخلاقية صحيحة، وبدين صحيح ومفهوم صحيح للإنسان !!

ـــ ولو أنّ هؤلاء المفكرين الكبار الذين كتبوا هذه الدراسة قد أعطوا الجوانب القيميّة والأخلاقية حقّها ،و مزجوا بين ما هو مادي ومعنوي، ودنيوي وأخروي، وغاصوا في أعماق النفس الإنسانية ـــ لوصلوا إلى نتائج علمية مختلفة مشبعة بروح جديدة تؤدي إلى الطريق الصحيح لإنقاذ المستقبل المشترك للبشرية!!.

إن فهمهم المحدود للبيئة والتنمية على أنهما مجرد طاقة وزراعة وصناعة واقتصاد، هو الذي جرَّد كلامهم من تأثيره وفاعليته في المجتمع الإنساني الذي يقوم على المعاني والقيم الأخلاقية والروحية بدرجة لا تقلّ عن الجوانب المادية من زراعة وصناعة وطاقة.. وغيرها !!

ومن هذا القصور في الرؤية والعجز عن إدراك حقيقة الحياة الإنسانية فشل مشروعهم الكبير، وسوف تفشل كل مشروعات إصلاح الكوكب الأرضي الإنساني إذا ظلت الرؤية مادية محدودة على هذا النحو.

***

ومن العجيب.. بل إنه من التوفيق الرّباني.. ومن الفقه النوراني بالقرآن وبإشاراته الحضارية المعجزة ـــ أن يستطيع رجلٌ يعيش حياةً بسيطة؛ شبه محاصر بعيداً عن الوسائل العلمية العصرية التي تمتلكها الهيئات العلمية، وذلك منذ أكثر من نصف قرن..

من العجيب أن يصل هذا المفكر وهو بديع الزمان سعيد النورسي ـــ إلى تشخيص موضوعي كبير (للداء) الذي يسيطر على الكوكب الأرضي، ويصف في الوقت نفسه (الدواء) بطريقة علمية شمولية تنتظم ما هو مادي وما هو معنوي، وما هو جِذْرٌ وسبب وما هو ثمرةٌ ونتيجة.

ويقدم ـــ بالتالي ـــ مقارنةً رائعة بين أسس الحضارة (الأورو أمريكية) المادية التي تكاد تقضي بتركيزها (المادي) على مستقبلنا الإنساني المشترك، بعد أن (حفرت القبور فعلاً للإنسانية حسب تعبير رجاء جارودي) [39]، وبين أسس الحضارة الإسلامية التي تملك العلاج الشامل (مادياً ومعنوياً) وتملك القدرة على الإقلاع الصحيح بمستقبلنا الإنساني المشترك..بما فيه من مسلمين وغير مسلمين.. وصولا إلى عالم جديد يصبح فيه كوكب الأرض صالحاً للبقاء مادياً وأخلاقياً.

إن بديع الزمان النورسي يكتب مشخصاً (الداء) ومحدداً إياه في تلك الأسس التي تقوم عليها حضارة أوربا المادية ذات الرؤية العاجزة.. والتي لا يسعى أصحابها ـــ للأسف ـــ لتغييرها ... أو علاجها لتتفاعل وتستفيد من تجارب الآخرين الحضارية ...

ـــ كما يكتب (النورسيّ) ـــ كذلك ـــ (روشتة الدواء) والتي تتمثل في ضرورة اعتماد الأسس التي تقوم عليها حضارة الإسلام الإنسانية الجامعة .... ذات الرؤية الشاملة ... سبيلاً لنهضة المسلمين وإنقاذ العالم عن طريق تفعيل هذه الأسس ونشر قيمها ورؤيتها في العالم كله بين المسلمين وغير المسلمين؛ لأنها الطريق الوحيد لبقاء هذا الكوكب الأرضي في مستواه الإنساني !!

يقول النورسي : إن أسس المدنية الحاضرة (الأوربية) سلبية وهي أسس خمسة، تدور عليها رحاها، فنقطة استنادها : القوة بدل الحق، وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض ومن هذا تنشأ الخيانة.

وهدفها وقصدها : منفعة خسيسة بدل الفضيلة، وشأن المنفعة : التزاحم والتخاصم، ومن هذا تنشأ الجناية.

ودستورها في الحياة : الجدال والخصام بدل التعاون، وشأن الخصام : التنازع والتدافع، ومن هذا تنشأ السفالة.

ورابطتها الأساس بين الناس : العنصرية التي تنمو على حساب غيرها، وتتقوى بابتلاع الآخرين وشأن القومية السلبية والعنصرية : التصادم المريع، وهو المشاهد، ومن هذا ينشأ الدمار والهلاك.

وخامستها : هي أن خدمتها الجذابة، تشجيع الأهواء والنوازع، وتذليل العقبات أمامهما، وإشباع الشهوات والرغبات. وشأن الأهواء والنوازع دائماً : مسخ الإنسان، وتغيير سيرته، فتتغير بدورها الإنسانية وتمسخ مسخاً معنوياً.

إن معظم هؤلاء المدنيين، لو قلبت باطنهم على ظاهرهم، لرأيت في صورتهم سيرة القرد والثعلب والثعبان والدب والخنزير [40].

ـــ هذا هو الداء الأساس، وما نراه غير ذلك فهو من ثمرات هذا الداء وأعراضه.

ـــ أما (روشتة العلاج) فتتمثل في الالتزام بأسس مدنية القرآن الكريم، فهي إيجابية تدور سعادتها على خمسة أسس إيجابية.

ـــ فنقطة استنادها : الحق بدل القوة، ومن شأن الحق دائما: العدالة والتوازن، ومن هذا ينشأ السلام ويزول الشقاء، وهدفها : الفضيلة بدل المنفعة، وشأن الفضيلة: المحبة والتقارب، ومن هذا تنشأ السعاة وتزول العداوة.

– ودستورها في الحياة : التعاون بدل الخصام والقتال، وشأن هذا ا الدستور : الاتحاد والتساند اللذان تحيا بهما الجماعات.

– وخدمتها للمجتمع : بالهدى بدل الأهواء والنوازع، وشأن الهدى : الارتقاء بالإنسان ورفاهيته إلى ما يليق به مع تنوير الروح ومّدها بما يلزم.

– ورابطتها بين المجموعات البشرية : رابطة الدين والانتساب الوطني وعلاقة الصنف والمهنة وأخوة الإيمان، وشأن هذه الرابطة : أخوة خالصة، وطرد العنصرية والقومية السلبية.

ـــ وبهذه المدنية يعم السلام الشامل، إذ هـــو في موقـــف الـــدفاع ضـــد أي عـــدوان خارجي [41].

ـــ ويقدم النورسيّ ـــ في روشتة العلاج ـــ بُعْـــداً آخـــر يقـــود البشـــرية في ظـــل العولمة اللادينية واللاأخلاقية إلى الهاوية؛ فبينما لا يقبـــل القـــرآن الكـــريم النـــازل رحمـــة للعالمين إلا طرازاً من المدنية التي تمـــنح الســـعادة للجميـــع أو الأكثريـــة، نـــرى المدنيـــة الحاضرة قد أطلقت الأهـــواء والنـــوازع والشـــهوات مـــن عقالهـــا، حـــتى أصـــبحت الحاجات غير الضرورية في حكم الضرورية، وهكذا محيـــت راحـــة البشـــرية؛ إذ كـــان الإنسان في البداوة محتاجاً إلى أشياء أربعة، بينما أفقرتـــه المدنيـــة الحاضـــرة الآن وجعلتـــه في حاجة الى مائة حاجة وحاجة، حتى لم يعد السعي الحـــلال كافيـــاً لســـد النفقـــات، فدفعت المدنية البشرية إلى ممارسة الخداع والانغماس في الحـــرام، و مـــن هنـــا فســـدت أسس الأخلاق؛ إذ أحاطت المجتمع والبشرية بهالة من الهيبـــة ووضـــعت في يـــدها ثـــروة الناس فأصبح الفرد فقيراً وفاقداً للأخلاق [42].

ـــ ولا حلّ إلا بالقناعة الإسلامية والزهد وشيء مـــن التقشـــف ومقاومـــة التكـــاثر المادي المدمر والأخلاق الإسلامية المتوازنة التي تجمع بين الدنيا والآخرة.

إلى غير ذلك من القيم الإسلامية الحيّة المبثوثـــة في كـــل التـــراث الـــدينيّ الســـابق، والمنسجمة مع فطرة الإنسان ومكانته.

وبهذه القيم الدينية والأخلاقية يتحقـــق التفـــاهم بـــين البشـــر، ورأب الصـــدع في ذلك العالم الممزق !!.

الهوامش

(1) الإسلام يتحدى : ص225 ، نشر المختار الإسلامي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1977م .

(2) وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى ، ص223.

(3) محمـــد عبـــد الله دراز : دســـتور الأخـــلاق فـــي القـــرآن ، ط 6م 1405، دار البحـــوث العلميـــة ، الكويت ص ي ـــ هـــ .

(4) أبو اليزيد العجمي : الأخلاق بين العقل والنقل ، ص21 ، دار الثقافة العربية ، القاهرة 1982م .

(5) سليمان الخطيب : الأخلاق ، ص 21 ، القاهرة ، 1409هـــ.

(6) البقرة : آية 190.
(7) آل عمران : آية 134.
(8) آل عمران : آية 57.
(9) الشورى : آية 40.
(10) آل عمران : آية 76.
(11) التوبة : 4.
(12) آل عمران : 159.
(13) آل عمران : 146.
(14) النساء : 36.
(15) النساء : 107.
(16) الحج : 38.
(17) البقرة : آية 205.
(18) المائدة : آية 64.
(19) البقرة : آية 222.
(20) التوبة : آية 108.
(21) البقرة : آية 109.
(22) الأعراف : آية 55.
(23) النورسي : اللمعات ، 178 ، ط2 ، مصر ، 1413هـ / 1993م ، دار سوزلر .
(24) اللمعات : المرجع السابق : 179 ، 180.
(25) اللمعات : مرجع سابق ، 180.
(26) اللمعات : مرجع سابق ، ص 180 – 181.
(27) اللمعات : مرجع سابق : ص 181 .
(28) نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.
(29) اللمعات : مرجع سابق ، ص 183.
(30) بديع الزمان سعيد النورسي – صيقل الإسلام ، ص 506.
(31) رواه مسلم (انظر صحيح مسلم بشرح المجلد الثامن من الجزء السادس عشر)
(32) النورسي : الكلمات ، ط2 ، سوزلر للنشر ، 1412هـ / 1998م ، القاهرة ، ص 854
(33) انظر كتابه : الخالدون مائة : أعظمهم محمد – نشر دار المعارف ، مصر.
(34) انظر كتابه : الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث (التوراة والأناجيل والقرآن ، نشر دار المعارف ، مصر) .
(35) النورسي : المكتوبات ، ص140.
(36) النورسي : سيرة ذاتية ، ص 172 ، ط3 ، شركة سوزلر للنشر ، 2000م ، القاهرة.
(37) انظر كتاب: مستقبلنا المشترك إعداد اللجنة العالمية للبيئة والتنمية ص21، 20 ــ سلسلة عالم المعرفة – الكويت 1410 هـ

(38) مستقبلنا المشترك ص 496.
(39) انظر كتاب رجاء جارودي : حفارو القبور نشر دار الشروق – مصر
(40) النورسي : الكلمات ص 855 طبع سوزلر – القاهرة .
(41) النورسي ، الكلمات ، ص 856 .
(42) المكان السابق نفسه.